مقتطفات من كتاب
اعتراف أين اللّه
مكسيم غوركي

حدوتة كتاب

إليك...لأنك تعرف لماذا!؟

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)
https://cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com



وقد تجلّى ذلك، جزئياً على الأقلّ، في ظهور تيارات أو جماعات أسمت نفسها تارة "الباحثون عن الله"، وتارة "بُناةُ الله"، وأخرى "مبدعو الله"... وكان الأديب الروسي مكسيم غوركي، في المرحلة المعنيّة، واحداً من أولئك الباحثين، قريباً في أفكاره هذه من لونَتْشارسكي الذي صار أوّل وزير للثقافة في الدولة السوفيتية بعد الثورة الشيوعية في روسيا عام 1917.

– ما لك، يا عمّاه، تغنّي طول الوقت عن الموت؟

فتوقّف حالاً، وقال لي ضاحكاً، وهو ينظر إلي:

– لا تخف، يا غشيم! لا ضير في الغناء عن الموت، فهو غناء جميل! إن أجمل الصلوات قدّاس الجنّاز، ففيه رأفة بالإنسان وشفقة عليه. ذلك أن الناس عندنا لم يعتادوا أن يشفقوا على أحد إلاَّ على الموتى!

وأذكر أيضاً أني سألته يوماً: لماذا لا يساعد الله مخلوقاته إلا قليلاً؟

فشرح لي قائلاً:

– ليس ذلك من شأن الله! بل أنت من عليك أن تساعد نفسك، فقد وهبك العقل! إنما الله موجود ليخفِّف عنك رهبة الموت، أما الحياة فأمرها موكول إليك!

أيّ كاهن هذا! إنه ليس كاهناً، وما هو إلا طبل تقرعه الفاقة والعادة بالعصيّ. فلو كنتُ كاهناً لما أبكيت الناس وحدهم، بل ولأبكيت الأيقونات المقدسّة أيضاً!

رحت أقرأ كلّ ما كان في الكنيسة من كتب، كنت أقرأ فيمتلئ قلبي بوقع جمال كلمة الله، وتنهل روحي من عذوبتها بتعطش حتى انبثق في نفسي ينبوع من دموع الامتنان. كنت أوّل من يأتي إلى الكنيسة، فأركع على ركبتي أمام أيقونة الثالوث المقدّس، وأذرف الدموع بسهولة وطاعة دون تفكير أو صلاة، فما من شيء أحتاج إليه لأطلبه من الله، لقد كنت أتعبّده بنزاهة.

عندما تصلّي شفتاك فإنهما تصلّيان للهواء وليس لله، فالله

يُنصت للأفكار وليس للكلام، كما يفعل البشر.

جال في خاطري:

"لقد فكّك البشرُ الإلهَ إلى أجزاء، كلٌّ حسب حاجته، فهو طيّب عند بعضهم، ومرعب عند آخرين، أما الكهنة فجعلوا منه أجيراً



معروف عندنا، أن مَن يأكل مِن عرق جبينه يظلّ جائعاً. انظر إلى الفلاحين. إنهم يزرعون القمح منذ قرون، ولا يجرؤون على أكله. صحيح أنني لا أحبّ العمل! ولكنني أرى أنّ العمل سيرهقني دون أن يجعلني ثرياً، بينما يشبع من ينام كثيراً، والحمد لله. عليك، يا ماتفي، أن تؤاخي اللصّ، فأنت أيضاً تأكل ما ليس لك!

الخيول ذكيّة، أعتقد أنها ترى عبثيّة أفعال البشر.

يهابُ الموت مَنْ محفظتُه مليئة.



- هكذا إذاً، أيها الإنسان! شريعة الله حليب مقدّس لا ننال منه إلا ما فسد. يقال: "من كان قلبه صافياً رأى الله"، وكيف يكون قلبك صافياً إذا لم تكن حرّاً؟ وما دمتَ تفتقر إلى إرادة حُرّة، فأنت بلا إيمان حقيقي، وما عندك ليس إلا الوهم.



الفقير روحياً عاجز عن الإبداع. إنه أصم في الحياة، أعمى وأخرس، غايتُه الدفاعُ عن النفس، والطمأنينةُ، والألفة. ولا يمكنهُ صنعُ أيّ شيء بشريٍّ، وجديدٍ حقّاً إلا بحكم الضرورة، وبعد دفعات عديدة من الخارج، وبصعوبة بالغة، ولا ينال ذلك تقديراً من باقي أصحاب الـ "أنا"، بل ويكون في نظرهم موضع اشمئزاز ونبْذ. وتعود هذه الكراهية إلى أن الـ "أنا" التي انفصلت عن الجماعة تتذكّر صلة القربى التي تربطها بالكلّ، فتسعى من جديد لجمعِ هذه الشظايا المتناثرة، وتوحيدِها في كلٍّ عظيم.

